



جائزة سمير قصير لحرية الصحافة لسنة 2010

الفائزة عن فئة أفضل تحقيق صحافي: صفاء صالح

الجنسية: مصرية

نشر المقال في "الاسبوع"، مصر، في 11/12/2009

بنات التبغ

في كل صباح تستيقظ الالاف من فتيات الريف مع نزول أول قطرات الندى على اوراق الورود بالمشاتل المنتشرة بمحافظة المنوفية لا ليقتفن الزهور أو يحملنها الى مصانع العطور ولكن ليحملن التبغ ويخلطنه بالقطران في مصانع المعسل المنتشرة بالمحافظة لتشرب الصبايا والرياحين الصغيرة المر من أجل خمسة عشر جنيهاً تقيهن ذل السؤال في آخر اليوم.

يومياً تتعرض تلك الفتيات اللاتي تتراوح أعمارهن بين 9 سنوات الى 22 سنة الى العديد من المخاطر الصحية نتيجة تعاملهن مع الأتربة والأحماض والغازات المنبعثة أثناء عمليات التصنيع والتعبئة الى جانب احساسهن بالمهانة الناتج عن التعسف والعنف من رئيسات صالات المصنع ولا يجدن من يطالب بحقوقهن أو يدرأ عنهن الأذى النفسي والبدني.

استيقظت في الخامسة من صباح يوم الأربعاء الماضي 11-11-2009 وخرجت من المنزل في السادسة الا ربع ولم تكن الشمس قد صحت من ثباتها بعد بينما وقفت عشرات الفتيات والاطفال من قريتي على محطة القرية _ منشأة سلطان ، الواقعة على بعد 11 كم من العاصمة شبين الكوم _ بانتظار الأتوبيسات التي سوف تقلهن الى مصانع العاصمة شبين الكوم_ 73 شمال اقاهرة _ ومدينة السادات فهذه المجموعة ذاهبة الى مصانع الملابس وتلك الى مصانع التبغ (المعسل) وأنا واقفة في ركن أترقب وانتظر فتيات مصنع التبغ "الدخان المعسل" حتى شارفت الساعة على السادسة ونصف وهمت أول مجموعة بالرحيل فذهبت اليهن وسألت عن أتوبيس مصنع الدخان فأجابت احداهن بأنه لم يأت بعد وأشارت الأخرى خلفي بأنه هو القادم هناك فتوجهت إليه وسألت السائق : " الأتوبيس ده رايح مصنع الدخان؟".

فأجابني : " أيوة ، انتي جديدة؟"

: " أيوة أول مرة".

_: " نورتيانا ولو ليكي اخوات او اصحاب قولي لهم وهاتيهن احنا عاوزين بنات كتير كمان اتوبيس او اتنين".

فصعدت الى الميني باص القديم وقلبي يكاد يقف خوفا من هذا العالم المجهول المقبله عليه من جهة أو ان تفشل مهمتي ويكشف أمرى من جهة أخرى.

كان مع السائق بالداخل ابنته الصغيرة التي لم تكمل عامها السادس بعد وكلما هممت بالجلوس على أحد المقاعد أخبرتني أن هذا المقعد يخص احدى الفتيات وانها ان جاءت ووجدتني فسوف تطردني منه فسألتها اين أجلس اذن فإشارت الى المقعد خلف السائق ولكن اشتترطت أن اجلس ناحية الطرف لأن جانب النافذة يخص داليا وسوف تغضب ان وجدتني فقلت لها "مش هنفرق لما تزعل ابقة اقعد ناحية الطرف".

وانتظرت بضع دقائق حتى بدأت الفتيات تأتي المجموعة تلو الأخرى تحمل كل فتاة منهم كيس بلاستيك صغير به عباءة العمل وأكل لوجبة الغذاء، لكل منهم مكانها الذي تعرفه جيدا وجاءت داليا ولم تعلق على وجودي الا بعبارة مقتضبة وحادة : "ده مكاني".

كان وجوم وجهها بل وجوهن جميعا لا يبشر بخير فجميعهن واجمات صامتات غاضبات يظهر غضبهن اذا ما استفتزت احدهن الاخرى لينطلق بركان من الغضب المفعم بالشتائم انصعت لأمر داليا وانا متوجسة خيفة من الجميع اللاتي ينظرن الى بشئ من عدم المبالاه ثم أشاحوا بوجوههن عني .

وبعد أن انطلق الميني باص في طريقه للمصنع سألتني نجية أو دلوعة كما يطلقون عليها " انتي جديدة يا عسل؟"

فأومأت برأسي : نعم

فردت : " طب أنصحك تاخديها من قصيرها وتشوفيلك شغلانة ثانية بدل القرف الي احنا فيه ده ، ولا أقولك خديها معاكي السخانات يا داليا" ونظرت الى داليا وضحكت ليؤمن الباقون على كلامها مطالبين داليا بأخذي السخانات فوافقت داليا وقالت " وماله تيجي " . فسألته عن ماهية هذه السخانات وأجابت " هناك هتعرفي " .

ثم انتابت نجية حالة من الكحة الشديدة أردفتها بقولها " الله يخرب بيت عجينة دخان امبارح دي لما بيحبوها الواحد ببيقة هيموت وهو بيوزنهاولا بيحط ايده فيها . " ثم قالت للفتاه بجانبها" بالليل أغمي عليا في الحمام وامي بقت تصوت عليا " . فسألته : " انتي تعبانة؟"

_ : "أه صدري بيوجعني من الغم اللي احنا بنشوفه في الشغل" .

_ : "طب ما تكشفي" .

_ : "كشفت كثير ومافيش فايده هوا طول مااحنا في المصنع هنخف أبدا؟"

_ : "طب ليه عجينة معسل امبارح بالذات بتتعبك؟"

_ : "عشان فيها مية نار أكثر من معسل القص " .

وهما النوعان اللذان ينتجهما هذا المصنع من المعسل الى جانب النشوق.

تعمل نجية في المصنع حتى تجهز نفسها وتكمل شوارها (جهاز العروس) فهي عروس مخطوبة منذ فترة وعلى وشك اتمام الزواج بعد ان تكمل جهازها ، كذلك صباح التي جلست تشكو أنها بعد أن جهزت نفسها من كله لم تجد مكانا في عش الزوجية تضع فيه الكماليات التي اشترتها لانها سوف تتزوج في غرفة واحدة حيث ستعيش مع زوجها في دار العيلة وسوف تكوم معها الثلاجة والفرن واليوتاجاز والغسالة وجميع الاشياء التي اشترتها في هذه الغرفة ، ورغم ذلك فانها تصر على العمل لتكمل الشوار لأن الناس سوف يشاهدونه وهو يحمل على العربات الى منزل العريس ولذا فهي وأهلها يتباهون بالاشياء الكثيرة التي تشتريها يوما بعد يوم وتدفع ثمنها من أنفاسها المختنقة بأدخنة هذا المصنع.

ووصل بنا السائق الى المصنع الكائن على المشارف الشرقية لمدينة شبين الكوم وعبر بالميني باص وبنا البوابة فلم يشك في أحد من الأمن ولم يسألوني عن هويتي.

سرت مع باقي الفتيات حتى دخلنا في مبنى أربع أدوار أخبروني أن صالة عملهم في الدور الرابع وبمجرد دخولي من باب المبنى انتابتني نوبة كحة شديدة رغم أن العمل لم يبدأ بعد .

وأثناء صعودي للسلم لم أستطع لمس الدرايزين الذي كان مغطى بمادة لزجة سوداء من بقايا المعسل كذلك درجات السلم جميعها والحوائط ، وعن هذه المواد تقول دكتورة " أمل سعد الدين " أستاذة صحة البيئة والطب الوقائي بالمركز القومي للبحوث العلمية: " ان اخطر ما يهدد العاملات في هذه المصانع الرطوبة العالية التي تسبب تراكم الفطريات على الحوائط والارضيات ومنها فطر (الاسبيراجلاز) الذي يفرز سموم لو تم استنشاقها يسبب اورام سرطانية في الكبد ويؤثر على المناعة " .

ووصلنا الى الصالة التي كنت أتوق لرؤيتها طوال الطريق ، وجدتها واسعة طويلة تسع ثلاثين طاوله أو اكثر على راس كل منها ميزان لوزن المعسل ولكني تبينت بعد ذلك أن الوزينة (الفتاة التي تقوم بوزن المعسل) الشاطرة تزن بيدها دون ميزان ، وعلى كل طاوله ما يقرب من عشر فتيات والقليل من الفتية الذين لا يتجاوز عددهم العشرة في كل صالة الى جانب مئات الفتيات بها .

أشارت احدى الأطفال بالصالة الى فتاة في العشرينات بانها هند مشرفة الصالة وعلى ان اخبرها اني جديدة، فذهبت وأخبرتها برغبتني في العمل فوافقت وأمرتني بالجلوس حتى يبدأ العمل .

جلست أراقب الفتيات أثناء توافدهن على الصالة أكثر من 200 فتاة منهم ما لا يقل عن 15 طفلة لا تتعدى أعمارهن العشر سنوات .

وبدأ العمل ونادتني هند بعد أن تبادلنا النظرات لي مع موظف آخر وتحدثنا لدقائق ثم أخبرتني أنها سترسلني الى صالة أخرى جديدة بها فتيات مهذبات لان الوضع هنا لن يريحني وهناك أهدأ من هنا فالعمل هنا صعب كما أن رئيسة الصالة عنيفة وكثيرا ماتضرب وتسب البنات ،ومن داخلي كنت في غاية السعادة فقد وقعت في صالة "لبش " سوف يكون بها العديد من الأحداث طوال اليوم واريد أن اعرف ماذا يحدث هنا .

أجبتها بأن تتركني هنا اليوم بجانبها لأنني ارتحت اليها واذا لم يعجبني الحال أذهب الى صالة الأخرى بعد الغذاء، فوافقت على مريض وأجلستني على الطاولة الأخيرة مع فتيات أقل حدة ممن في مقعدة الصالة ولكنها ظلت تنتظر لي بأسى وتذكرني بالصالة الأخرى التي تليق بي فقد كانت ترى أنني لست "وش بهدلة". جلست بجوار الفتيات أتعلم تقفيل العبوات ورضها في الصندوق وكانت الفتيات يعملن بسرعة عجيبة وكانت الصغيرات حولنا كشغالات النحل فهن يمسحن الأرضية من المعسل المتساقط باستمرار دون توقف ومنهم من تحمل الينا المعسل الخام واخريات يمسحن الطاولات وهكذا لا يتوقفن عن العمل للمحة . وكانت آية (11 سنة) تعمل في لم الزبالة من الصالة وفرزها حيث تفصل ورق السوليفان عن الكارتون عن بقايا المعسل المتساقط بأرضية الصالة وقالت آية أنها أتت هنا بعد أن اخرجها ابوها من الصف الخامس وارسلها لتعمل في هذا المصنع لتساعده بأجرها فهو عامل بسيط لا يستطيع الانفاق عليها واخواتها

أما أميرة (15 سنة) أو "زواوي" كما تطلق عليها البنات فطوال اليوم تضربها البنات الأكبر منها بقسوة وتلم زبالة وتفصلها وتنزل وتطلع رغم انها من ذوي الاعاقة بعد أن فقدت عيناها اليمنى فنقول " أنا ماكنتش كدة انا كنت باشوف كويس لحد ما واحد راكب عجلة عليها لوج زجاج دخل فيا بلوح الزجاج في عيني صفاها ، بعدها سبت المدرسة وجيت اشتغل هنا"

كذلك كانت هناك سيدة (22) فتاة أخرى من ذوي الاعاقة عندها شلل أطفال لم تحتمل ريسة الصالة ببطء حركتها في اللف أو التعليل فجعلوها تقوم بكس الصالة ذهابا وايابا طيلة اليوم كما تنزل لجانب الأقفاس من المبنى الآخر كلما نفذت وتقول سيدة " أنا يتيمة الأم ومن فترة مات أبويا كمان وماعدش ليا حد أختي اتجوزتي وأصبحت انا وحيدة هاصرف منين لازم اشتغل واستحمل اي حاجة عشان أعيش".

أما ايمان (14 سنة) فنقول "أنا خرجت من المدرسة بعد ما اتعقدت ، لاقيت كل البنات بتلبس كويس وانا هدومي مقطعة وقديمة ، وجيت اشتغلت علشان اجيب لنفسى لبس وابقه زيهم"

وبعد حوالي ربع ساعة جاء أحد الموظفين الكبار المسؤول عن العمال واخذ يمرر نظره في الصالة حتى توقفت عيناه عندي وسألني : " انتي جديدة؟".

فأجبتة : "أيوه"

ثم نظر لهند وقال لها : " دي مش شكل هنا مخليها هنا ليه معاهم؟".

فأجابته : " أنا قلت لها هاوديكي الصالة الثانية وهي صممت تفضل هنا".

فالتفت الي وقال: " تعالي انا هاخذك حنة كويسة انتي مش هتسلكي هنا انتي مش شكلهم تنبهدي" فاضطرت أسفة أن أرضخ لأمره حتى لا أثير ريبه أحد في، وهنا صاحت نجوى بجواري " خدني معاها والنبي ياعم اسامة داانا مؤدبة والله وبننت ناس زيها اشمعني هي " ، فابتسم اسامة ولم يلتفت اليها . وذهبنا الى المبنى الآخر وصعدت الى الصالة وبالفعل وجدت بها أربعة طاولات فقط للمعسل وباقي الصالة يستخدم لإنتاج ورق كرتون عبوات المعسل داخل المصنع حيث يقوم الرجال بتقطيعه ورضه ، وبالفعل كانت الصالة أهدأ من الأخرى بكثير فقد علمت بعد ذلك أن أقسى صالتيين على البنات هما صالتي بشري وناصره التي كنت بها .

ووقفت أنا وأربعة فتيات أخريات على الطاولة منهم ثلاثة جدد مثلي وأخذت دنيا الوزينة القديمة تزن المعسل وتضعه لأسماء على ورق السوليفان حتى تلفه واقوم انا وعزة بالتعبئة داخل عبوات الكرتون التي تقلها حسنا وترصها في الأقفاس "السبات" .

رغم أن الصالة لم تكن من صالات العمل الرئيسية المزدهمة بالعاملات إلا أنها كانت تضم خمسة أو ست فتيات صغيرات تتراوح أعمارهن بين 9-12 عاما ضمن مايزيد عن ثلاثين فتاة بها فكنت أبادلهن الابتسامات من أن الى آخر ويبدو أنهن لم يتعودن على ذلك فبعد فترة وجيزة وجدت احدهن تأتي لي بمقعد حتى لا أتعب وضعبته وذهبت تكمل عملها وحولي دائما كانت تحوم عفاف ذات الاحد عشر ربيعا لتمسح مايقع من التبغ على الأرض او الطاولة ، لا تتبسم ولا تكي ولكن تعمل في صمت وأنا أنظر اليها في أسى مثلما فعلت مع طفلة أخرى بالصالة لم تتجاوز العاشرة تجر عربة حديدية مليئة بكومة من رزم ورق الكارتون .

في صالتي الجديد " صالة الاسطى علي " فكل صالة تسمى على اسم رئيسها أو رئيستها_ جلست أعبئ المعسل كان من الحجم الأكبر حيث كانت العبوة 192.5 جم وكانت كل طاولة تقفل متوسط 10 صناديق في الساعة وتعمل الفتيات مايقرب من 9 ساعات (في مخالفة واضحة لقانون العمل المصري الذي ينص على أن ساعات العمل 7 ساعات يتخللها نصف ساعة راحة) أي أن كل 5 فتيات يعينن 90 صندوق يوميا في كل صندوق 60 عبوة سعر العبوة 3.5 جنيها اي ما قيمته 18900 جنيه فنصيبي انا من التعبئة 3780 جنيه أنقاضي نظير تعبئتهم 15 جنيها!!!! وهو ما يتفق مع ما أثبتته الاحصائيات أن معدل استهلاك المعسل يرتفع في مصر بصورة كبيرة فوفقا لتقرير تلقته لجنة الصحة بالبرلمان المصري في ديسمبر 2008 ، سنويا يقدر حجم ما يستهلكه رواد مقاهي القاهرة وحدها بحوالي 40مليون طن من المعسل

بجوارى على الطاولة كانت عزيزة(21) فتاة غير متعلمة تعمل هي الاخرى من أجل تجهيز نفسها فقد توفي والدها بعد أن ظل يعاني من سرطان المثانة طيلة 7 سنوات وهو لا يعلم انه سرطان لانه لم يذهب لطبيب لضيق ذات اليد وعن ذلك تقول عزيزة " أبويا كان بينزف دم كثير في البول لكن ماكنش فاكره سرطان كان بيقول دول شوية التهابات وهيروحوا وطالما قادر اقف على رجلي ما لهومش لازمة الدكتوراة " وحين اكتشف المرض كان على مشارف الموت وكان على عزيزة أن تكمل الجهاز حتى يتم زفافها لخطيبها المؤذن ، لأن اخوتها "صحتهم على قدم ومش لاقيين شغل" على حد تعبيرها . أما حسنا(16 سنة) فهي طالبة في الصف الثاني الثانوي الفني ورغم أن والدها مازال على قيد الحياة فهي تقول " أبويا فلاح بس ما عندناش أرض بيشتغل كدة اليوم بيومه ، كلنا ولاد ناس غلابة ، هنجيب منين ، انا ما قدرش اقعد كدة من غير شغل ولا فلوس لحد ما اخلص الدبلوم ، دا انا كان يجرا لي حاجة قلة القرش في ايد الواحدة وحش وحش اوي " .

واندمجت في العمل وأثناء قيامي بلف المعسل اذا بصوت ينادي من خلفي " يا مزة؟" فلم الق بالافاذا بها تنادي مرة أخرى وصاحبت نداءها بمحاولة لنزع الكرسي الذي أجلس عليه، فالتفت اليها : " أنا؟" فأجابت : " هوا فيه مزة هنا قاعدة على الكرسي غيرك؟ ، هاتي الكرسي ده بتاعي " . فأعطيتها المقعد وأنا أعلم أنه لا يخصها ولكني أثرت السلامة وأكملت العمل وأنا واقفة وحين اقتربت الساعة من الثانية عشر ونصف ظهرا كنت على وشك الانهيار فقد زاد الألم الذي بدأ بصدري منذ بداية العمل حتى أحسست ان احدهم يمسك سكيننا ويمزق رتاي من الداخل واصبت بدوار وصداع شديدين ولاحظت عزة ألمي فأخبرتهم قائلة " شكلها تعبت يا عيني شوفوا وشها؟! " فردت أسماء : " ما علش كلنا بيحصلنا كدة أول أسبوع لكن بكرة نتعودي عالريحة وعالتعب " وهنا كنت على وشك أن انفجر وأطلب الخروج من هذا المصنع دون رجعة ، وهنا تذكرت أنني لن استطيع الخروج الا مع الباصات في الخامسة ونصف واذا حاولت ربما اثير شكوكهم ويفتشوني فيجدوا الكاميرا وحينها لا أممن ماذا سيفعل بي فهذا المكان لم يستطع أحد دخوله حتي الباحثين الاكاديميين بمركز البحوث لم يستطع الكثيرون منهم عمل رسائلهم العلمية عن هذا العالم وهذا ما حدث مع دكتورة "أمل سعد الدين " حيث تقول " أردت عمل بحث عن صحة العاملات في مصانع المعسل وذهبت الى بعض هذه المصانع ولكن المسؤولين عنها لم يسمحوا لي باجراء البحث أو حتى دخول المصنع " .

وعن صحة العمليات بالصالات تقول سعد الدين " ان الفتيات في الصالات معرضة للغازات والمواد الكيماوية الضارة التي تمتص عن طريق الجلد فتدخل الجسم وتحدث به أضراراً شديدة " وعن الاحتياطات التي كان يجب أن يأخذها المصنع في اعتباره تقول سعد الدين " يجب أن يكون هناك ماسكات خاصة بامتصاص الغازات وأخرى خاصة بالارتبة كما يلزم توفير القفازات وأفارول يلبس فوق ملابس الفتاة ويغسل بمغسلة في المصنع يوميا ، كما يجب ان يكون هناك دش للفتيات ليتخلصن من آثار المعسل ويزيلوا الاحماض عن اجسادهن بدلا من أخذها معهم الى المنزل "

وتضيف " وهناك أعمار يجب ان تتجنب هذا العمل وهن الفتيات المتزوجات حديثا ويوجد احتمال للحمل لان هذه الاحماض تعمل على تشوه الاجنة ، أما عن الاطفال حدث ولا حرج انهم في فترة تكون لخلاياهم ولا يجب ان يتعرضوا لذلك من الاساس حيث تكون الخلية في هذه المرحلة حساسة جدا ويمكن ان يتغير تركيب خلاياهم فيصابوا باورام سرطانية او تورث هذه الاوام للاجيال القادمة تؤكد دكتورة أمل سعد الدين على اصحاب المصانع على ضرورة حماية العامل او العاملة وما يتناسب مع طبيعة المكان فلا بد من ارتداء البوت والماسكات والافارول والقفازات الى جانب وجود الشفاطات بصورة كبيرة. "

كانت الصناديق على طاولتي قد نفذت فارسلوني مع فتاة من الطاولة المجاورة لننزل ونحضر بعضا منها وبالمرة أغير جو الصالة . عند باب الصالة وجدت نعيمة بانتظاري ووجدت فتى ممن يعملون بالصالة يقول لي " يامزة أنا عاوز اشتغل معاكي "

فنظرت له بغضب وتركته وهنا نصحتني احدى الفتيات " اشتميه او اضربيه علشان ما يضايقكيش ثاني ، هنا ما يعرفوش النظرة دي" ونزلنا أنا ونعيمة لنأتي بالأقفاص من مبنى آخر داخل المصنع ومررنا في طريقنا بالسخانات وهنا أدركت ماهيتها انها "المحرقة" في هذا المكان حيث تتصاعد الأبخرة والغازات الساخنة من الأزانات السوداء حيث يخلط التبغ بعد فرمه في الفرامات مع العسل الاسود والمكونات الأخرى وأخبرتني نعيمة أنها سبق وعملت في هذه السخانات بالأمس فنقول " ربنا يكون في عون البنات اللي شغالة في السخانات أنا عملت فيها يوم واحد وبعدها صعبت عليا نفسي وبكيت وقلت والله مانا شغالة وصعبت على عم اسامة لما قلت له بدلني مع واحدة تانية انا تعبانة هاموت، فطلعتني فوق مع البنات المؤدبة ، بعد ان كنت فوق في صالة حنان كانت بتهد حيلي طول النهار لم زبالة وكنس طلوع ونزول ، هو الحال هنا كدة اللي مش سريعة البنات يز عقولها ويشتموها والريسة على طول ماسكة العصاية تضرب البنات اللي مابنتشغلشي واللي صوتهم عالي ، بهدلة بهدلة يعني "

وعن هذه المرحلة من التصنيع تقول دكتورة "سعد الدين " : " في مرحلة السخانات فان شدة الحرارة يمكن أن تسبب للنساء اجهاد حراري من مظاهره عدم التركيز والاحساس بالاجهاد العام والصدمات الحرارية التي تشبه ضربة الشمس فتسبب الضربات الحرارية اغماءات متكررة وقد تؤدي الى الوفاة في بعض الاحيان ، كما أن الغازات المنبعثة أثناء صنع المعسل في السخانات تهيج الجهاز التنفسي والغشاء المخاطي للجسم كله فتسبب التهابات العينين والانف كما يمكن حدوث حروق نتيجة الحرارة المرتفعة "

تتهدد نعيمة بالم وقالت " أنا مش جاهلة أنا معايا ثانوية أز هرية بس أبويا على قده ما قدرش يدخلني الجامعة ، أمي قالت لي اختاري اما انتي تقعي او حد من اخواتك يقعد ، واخواتي لسة صغيرين في ابتدائي واعدادي ، يعني انا اخذ كلية واخواتي بيقوا جهلة خالص ، قعدت، انتي لو مكاني تعملي ايه ؟ تضحي بنفسك ولا تظلمي اخواتك؟"

وتكمل نعيمة " احنا الأول ما كانش حالنا كدة كان كنا عايشين في بيت العيلة مع عمي لكن فجأة عمي قلب علينا مع انه كان طيب ، بعدها قعدنا في دار صغيرة وبقي حالنا على قدنا وبدأت حياتنا تبقة أصعب" وعندما لمحت نعيمة في عيني تأثرا من أجلها قالت " لأ دا انا احسن من غيري كثير ، البنات هنا عندهم مآسي بجد فيه ناس مش لاقية العيش الحاف بس هما ميبتكلموش ، عارفة الأول كنت باشتغل في مصنع شمع

في طنطا كان الشمع ينزل على رجلي وهو سخن أبقة هاموت ، وأفضل طول الليل أعيط أهو هنا أرحم شوية عالقل الواحدة جسمها ميتحرقش"

ثم مررنا على الفرمامت التي تخرج منها كميات كبيرة من الرزاز والأتربة حيث يتم فرم نباتات التبغ الجافة بنية اللون لتؤخذ بعد ذلك الى السخانات ، وعن أمراض هذه المرحلة تقول دكتورة "سعد الدين " :
في مرحلة الفرم تؤثر الأتربة على الجهاز التنفسي خاصة أن فرم النباتات المجففة يصاحبها بعض الفطريات وتسبب هذه الفطريات حساسية صدر وتكيسات صدر وأمراض صدرية مزمنة "

وصلنا الى صالة الأقفاص ، أخذناها وخرجنا .
ذهبت مرة أخرى الى طاولتي وجلست أكمل مع زميلاتي الجدد ما بدأناه ، واذا بنعيمة تأتي بمقعد لأجلس عليه حتى لا أععب مجددا .

وجلست ولم تمر دقائق حتى وجدت نفس الصوت خلفي : " مزة انتي يا مزة ؟"
فأجبتها بضيق " عاوزة ايه؟"

" الكرسي ده بتاع الوزينة بتاعتنا وانتي اخذتيه قومي من عليه."
فأجبتها بقوة هذه المرة : " لأ الكرسي ده بتاعي انا ، نعيمة جيباه علشانني"
فأخذت تردد بعض الشتائم ولكنني لم ألتفت اليها

وجاء أحد الموظفين ليعتذر عن عدم وجود كراسي واعد بأن يوفرها غد ثم أسر الينا قائلا " لو تعرفوا بنا ت حلوين زيكم كدة عاوزين يشتغلوا هاتوهم احنا محتاجين بنات كتير"
وهنا علقت حسنات " رجالة كلهم عنيهم زايغة "
فاندهشت لعبارتها وسألته عن السبب

فأجابت " ماسمعتهوش بيقول بنات حلوين شكلكم؟"

وهنا قاطعتها عزة " مش احسن مايقولك بنات وحشين زيكم "

واستمرينا في العمل حتى سمعنا صوت ارتطام شديد بالارض فاذا باحدى الفتيات على الطاولة المجاورة فقدت الوعي لفترة تزيد عن ال7 دقائق رغم محاولات مشرفة البنات لافاقتها وعندما سألت علمت انها عادة ما يغمى عليها ولا يعرفون السبب .

وشارفت الساعة على ثانية بعد الظهر ونحن لم نكمل حصتنا بعد وكانت كل الطاومات قد أنهت عملها وجاءت نعيمة كي تساعدنا حتى نخرج سويا للغداء ، وانهيينا الكمية ثم ذهبنا الى الحمام كي نغسل أيدينا من آثار المعسل والقرب من الحمام في آخر الصلاة اذا بنفس الفتى يمسك بيدي ويقول يا مزة البنات دي بتشتمك : فنزعت بيدي وسالت : انت مجنون ولا متخلف؟

وجريت من أمامه ونزنا السلالم وفي الطريق استوقفنا شاب أخر وأشار الى نعيمة مخاطبا فتاة اخرى " أنا عاوز أمشي مع البنات دي" ، فأجابته الفتاة "نعيمة مخطوبة " فرد بكل وقاحة " خليها تسبب خطيبتها وتمشي معايا"

فنزلت نعيمة معي وهي تجري " شوفي والنبي قصير ومعفن وفاكر نفسه أملة ، عاوزني اسبب خطيبي اللي برقبته قمر طول بعرض واحلى مني كمان "

وسالنتني " معاكي غذائك؟"

فأجبت : " لا هشتري .. فيه كانتين؟"

_: " لا فيه الخرم اللي في السور هناك ده لو عرفتي تمدي ايدك"

ونظرت فاذا بفتحتين صغيرتين بحجم قالب الطوب في سور المصنع وعلى كل منهما تقف مجموعة كبيرة من البنات والشباب مادين أيديهم بجنيهاات قليلة الي البائعة القابعة بالخارج لتعطيهم ساندوتشات الفول والطعمية واكياس عصير التمر هندي ومدت نعيمة يدها بربع جنيه وأعطته لأسماء القريبة من فتحة السور لتشتري لها كيس تمر هندي وأتت أسماء بالكيس وتعرفت اليها فهي فتاة في الرابعة عشر من عمرها تقول اسماء " انا هنا من اربع سنوات ، كان عمري 10 سنوات طلعت من المدرسة من ثالثة ابتدائي وجيت اشتعلت هنا، كنت الاول باكس وامسح واشيل زباله دلوقتي بقيت وزينة "

وعن عدم استكمال تعليمها قالت اسم: " هاعمل ايه بالتعليم فيه واحدة جارتنا واخدة كلية واتجوزت وخلفت وقاعدة من غير شغل وحالتها بؤس خالص ، انا كدة معايا فلوس وباخد 90 جنيهه في الاسبوع باجيب اللي نفسي فيه ، وأدي أمي الباقي تصرف عالدار."

وذهبت الى مكان تصلي فيه البنات و يغيرن ملابسهم ولبعضهن صناديق بها اقفال حتى لا يسرق أحد ملابسهن فقد سرقت من احدهن بلوزة بالامس ولم تعثر عليها وهناك قابلت هبة (15 سنة) فقد تسربت من المدرسة في الصف الثاني الاعدادي وعن سبب ممارستها لهذا العمل الشاق على طفلة مثلها أجابت " باشتغل علشان بيقة معايا فلوس هاشتغل ليه يعني وياضطر استحمل الريسة حنان اللي بتبهدلني ، الاول كنت باعيط كتير وكنت اروح ادعي عليها واقول يارب اروح بكرة الاقيها اتقلبت وتريحنا منها ، وساعات كنت أحلم بيها من خوفي منها"

أما سمر (11 سنة) وهي طالبة في الصف السادس الابتدائي فتقول " أنا باشتغل في صالة بشرى اليوم الي ماروحش فيه المدرسة احي المصنع وبادي الفلوس لأبويا أبويا خفير واحنا اربع اخوات مرتبه ما بيكفيناش عيش ومخل لازم أساعده عالآقل أجيب لقمتي"

كل هذه الحكايات أنستني الصالة وكانت الساعة قد اصبحت الثالثة وعشر دقائق عصرا فصعدنا بسرعة ودخلنا الصالة وتحملنا ماسمعناه من شتائم وشخط وأكملنا عملنا حتى الساعة الخامسة مساء فخرجنا واصطحبتني نعيمة حتى تبدل ملابسها هناك عند الصناديق مع احدى صديقاتها وهناك وجدت البنات من السخانات يعصرن عبايات العمل وينشرنها على السور حتى الصباح ليلبسنا في اليوم التالي. خرجنا نستنشق بعض الهواء حتى تأتي الأتوبيسات لتصطحب الفتيات الى قراها وفي كل باص سائق ومقاول وهو الشخص الذي يقوم بجمع الفتيات للمصنع من القرى النائية ويصحبهن في الذهاب والعودة كل يوم.

وجلينا على احد جذوع الشجر المرمية على الارض وهنا جاءت عفاف بعد أن بدلت ملابسها المتسخة ووقفت بجانبني لتباندني الابتسامة التي خافت أن تردني اياها في الصالة فجلست بجانبني صامتة مبتسمة وحين سألتها قالت " اسمي عفاف محمد (11 سنة) في الصف السادس الابتدائي ، باشتغل في المصنع لما اكون غايبة من المدرسة زي النهاردة و أيام الجمعة علشان اليوم فيها ب 25 جنيه و بتكون معايا اختي الكبيرة في ثانية ثانوي ما بتخليش حد يضربني " وفي طريقنا الى البوابة رأيت الفتاة التي فقدت وعيها بالداخل فسألته عن الأمر فقالت " ما اعرفشى جنبني بيوجعني وتجيلي الحالة دي بس بافوق بعدها واكمل شغل"

وخارج البوابة كانت هناك سيدة تبيع أكياس شرائح البطاطس ولكن الفتيات كن يخرجن واحدة تلو الاخرى تحت رقابة اثنتين من المشرفات تحمل احدهما عصا خشب كبيرة وتحمل الاخرى ايد مقشاة مكسورة وحين هممت بالخروج لشراء اي شئ اتناوله اخبروني ان انتظر حتى تدخل الفتاة التي بالباب وعلمت من احدى الفتيات انهما تفتشان البنات الاتي يخرجن تفتشا ذاتيا فخفت ان يكشف أمر الكاميرا ويكشف أمرى معها ، فانتظرت حتى أتى أحد المنى باصات الخاصة بفتيات قريتي وركبته مع فتيات القرية وعلى عكس الصباح كانت الفتيات كأنهن خرجن من سجن مظلم الى عالم من الحرية والانطلاق، فنجية تجلس الى جانب عم شعبان السائق تحكي معه وتضحك حيننا وتستدير لتشارك الفتيات بالخلف السخرية من بشري ريسة الصالة حيننا آخر وايمان ترفض الجلوس على مقعد وتجلس بالباب لتمد قدميها في الهواء وهي تغني.

وعن السلامة في مصانع التبغ يقول سكرتير السلامة والصحة المهنية بالاتحاد العام لنقابات عمال مصر بالقاهرة علي عامر: " هناك مشكلة في السلامة والصحة المهنية في المصانع المصرية بسبب قلة عدد المفتشين بالصحة في وزارة القوة العاملة ، فمن المفروض أن يكون هناك مرور دوري على مصانع التبغ للتأكد من وجود شفاطات كبيرة وكمامات للعمالات ولكن أزمة عدم تعيين أطباء ومهندسي سلامة وصحة مهنية جعل أصحاب المصانع لا يلتزمون بشروط السلامة والصحة المهنية فهم لا يريدوا ان يدفعوا مزيد من الاموال ، والحكومة تتبنى نهج عدم التعيين بالجهاز الاداري للدولة ومن يخرج معاش في الصحة

المهنية لا يعين غيره فخلال ثلاثة او اربعة اعوام لن يكون هناك مفتشي صحة مهنية فالآن مثلا البحيرة بها 1000 مصنع واربعة مفتشين فكيف سيكون الحال داخل هذه المصانع " ويضيف عامر: " ظروف الحياة الصعبة وانخفاض مستوى المعيشة بتضطر الناس تطلع أطفالها للعمل واحد بيقبض 200 جنيه فكيف يعيش هو واسرته ؟ لذا يجب أن نوفر لهذه العمالة الحماية الكافية حتى يلتزم أصحاب المصانع بقانون 12 لعام 2003 وهو قانون العمل الموحد ولن يتم ذلك الا اذا تم تعيين مزيد من مفتشي السلامة والصحة المهنية فعندما يجد صاحب المصنع لجنة تعمل له محضر كل أسبوع وليس كل عام سيضطر يلتزم . "

وعن المخاطر المعرض لها العاملات في مصانع التبغ يقول عامر: " أخطر ما يهدد العاملين في مصنع المعسل أمراض الرئة والأمراض الصدرية والفشل الكلوي واطرها الدرن الرئوي "

منذ ما يقارب المئة عام، قلبت حركة عمالية نشأت بين عاملات المصانع المجتمع اللبناني رأساً على عقب. أصبحت كلمة (بنت المصنع) تعني الاستقلال والكفاح من أجل التغيير. ففي عام 1914، أعلنت عاملات التبغ في بيروت إضراباً عاماً وقد حققن بفعله 15 شهراً من الأجور المدفوعة في السنة الواحدة، كما جعلن أيام العطل الدينية مدفوعة أيضاً وحقن مكاسب على صعيد تحسين شروط العمل وزيادة الرعاية الصحية فمتى تحصل عاملات التبغ في مصر على حقوقهن؟